العرب . ويظهر ذلك في مكانين : ففي صفحة ١٨٥ يكتب الحوار التالي بين ضابط عربي وعجوز يهودية . قال لها الضابط : « سوف نقتلك » . فسألته : « لماذا ؟ » فاجاب : « الا تعلمين اننا نقتل كل اليهود ؟ » فقالت : « لكنك لن تقتلني » . فسألها : « لماذا لا ؟ » فاجابت : « لانني لم أؤذك بتاتا » . كما يكتب حول النقطة نفسها صفحة ٢٢٣ « ان اليهود منذ قرن وهم يصارعون العدوان العربي عليهم في فلسطين اثناء محاولتهم العودة لاستيطان بلدهم » .

ويدافع عن العدوان الاسرائيلي بقوله ص ٢٢٤ « لقد فرضت الظروف على الاسرائيليين ان يعيشوا معظم حياتهم تحت السلاح في قلعة محاصرة » . وكان الاحرى به ان يسأل لماذا اسرائيل قلعة محاصرة ويخبرنا ما هي الظروف التي فرضت عليها تلك الحصار .

واخيرا يحاول الكاتب بكل وقاحة ان يصور القومية الفلسطينية بأنها « نوع من الصهيونية العربية » من حيث محاولتها استعادة الوطن . وهو يحاول دعم نقطته بقوله ان الفلسطينيين ما زالوا يستعملون الاسماء العربية للمدن والقرى الفلسطينية !! وهو يفترض ان ذلك نوع من الخيال والمثالية ، وان اي فلسطيني يفكر باستعادة فلسطين هو صهيوني عربي !! اي يريدنا ان نساوي بين الفي سنة مضت على خروج اليهود من فلسطين ، وبين عشرين سنة مضت على طرد الشعب الفلسطيني من ارضه .

وموضوع الكتاب الثاني مرتبط بموضوع الكتاب الاول ، وهو كيف تم الوصول لبناء الدولة الصهيونية في فلسطين . ويهتم هذا الكتاب بتطور الكيان اليهودي في فلسطين من مستعمرات الى دولة ومجتمع صناعي . ويختلف الكتاب الثاني عن الاول في طريقة العرض . فالكتاب الاول عرض عاطفي يعتمد قصصا وشخصيات واساطير ويتطرق الى تفاصيل كثيرة ، بينما الكتاب الثاني علمي وموزون في عرضه وهو يركز على عرض الحقب التاريخية للحركة الصهيونية ، وهي الفكرة او الحلم ، المستعمرات ، الوطن القومي ، الدولة ، ومشاكل الدولة .

هذا الكتاب مبني ايضا على افتراضات معينة تؤثر على نظرة كاتبه الى التطور التاريخي للحركة الصهيونية . فهو يبدأ من افتراض ان فلسطين وطن لليهود ويتكلم عن العودة كأنها امر طبيعي . ويظهر ذلك من قوله صفحة ٣ « عندما يتكلم المرء عن اسرائيل ، سواء عن ماضيها او حاضرها ، فهو يتكلم عن شيئين : عن ارض معينة في الشرق الاوسط وعن شعب معين له جذور في الشرق الاوسط » . ويضيف انه اسهل على المرء فهم فكرة الارض الموعودة من فهم فكرة الشعب اليهودي . ويقول الكاتب ايضا ان اليهود حملوا السلاح ضد العرب عام ١٩٤٧ لتحقيق هدفين : الاول الحفاظ على ارواحهم ووجودهم ، والثاني خلق دولة مستقلة خاصة بهم . الهدف الاول هدف كاذب لان وجود اليهود في فلسطين لم يكن في خطر عام ١٩٤٧ ولا قبله . اما الهدف الثاني فهو الهدف الحقيقي والوحيد لمحاربة اليهود لعرب فلسطين . ويحاول الكاتب بطريقة معينة ان يصور نكبة ١٩٤٨ على انها كانت نكبة للعرب واليهود معا ، لا بل لليهود اكثر منها للعرب ، اذ يقول بكل بساطة و «براءة» لقد أدت حرب ١٩٤٨ الى وجود مشكلة لاجئين معقدة اذ اصبح هناك مليون لاجيء يهودي ونصف مليون لاجيء عربي فلسطيني . ويضيف بوقاحة ان لجوء الفلسطينيين لم يكن متوقعا ولا معدا سلفا ولا مرغوبا به ، مع ان كل مخططات الحركة الصهيونية كانت تقوم اساسا على اجلاء الفلسطينيين عن فلسطين .

اما ما تبقى من الكتاب فيخصص لعرض مشاكل دولة اسرائيل بعد قيامها . وهذه المشاكل هي مشاكل عامة معروفة منها : هل الدولة ستصبح يهودية دينية ام علمانية ، مشكلة استيعاب المهاجرين الجدد ، مشكلة تخلف اليهود الشرقيين حضاريا وتكنولوجيا عن اليهود الغربيين في المجتمع الصناعي الحالي ، ومشكلة الاقلية العربية في فلسطين .

ان قراءة الكتاب الثاني مفيدة ، اما الكتاب الاول فقراءته غير مفيدة بتاتا لانه لا يتعدى كونه دعاية عاطفية محمومة .

باسم سرحان